الغائبُ

إلى كل عزيز أعطى فأجزل العطاء، إلى كل تكاتف قدمت لوطنها أعز ما عندها
إلى شقيقي "وجدي" الذي استشهد في حرب رمضان المجيدة.

بعد عامٍ من الأسى يا شقيقي
لم يخفف بردُ الدّجى من حَريقي
بعد عامٍ لم يطفئ الدمعُ نارًا
ينفث الحزنُ جمرَها في عروقي
أسكبُ العَبرةَ العَصيّةَ طوعًا
في مَساءٍ .. أحياه دون شروقِ
يا شقيقي يا صورةً لم تُغادرْ
مُقلةَ الواجِمِ الغريبِ الغريقِ.
كنتَ يا صاحبي شقيقيَ وابني
ومُعيني ونجدةً في طريقي..
كنتَ شيئًا أبقيتهُ لمشيبي
إن حبا العُمرُ بعد طول بريقِ

●●●

منذ عامٍ كذبتُ، أوهمتُ نفسي
قلتُ: لا دمعَ لا أسى يا شقيقي
قلتُ: إنّ الشهيدَ لم يُرثَ يومًا
كيف يُرثى؟ همهمتُ بالتصديقِ
غيرَ أني من بعد عامٍ فراقٍ
عدتُ للحزنِ، ألهبتني حُروقي

عُدْتُ أبكيكَ ، والبكاءُ عَزاءٌ
لحزينٍ - بعدَ الذُّهولِ - مُفيقِ

●●●

يا صديقي يا أيها الحُزنُ مرحَى
أنتَ أوْفى من ألفِ ألفِ صَديقِ
طُفْ برُوحي ، ذوّبْ جفوني دَمعًا
لا تُرَوِّعْ من صوتيَ المخنوقِ..
أنتَ في النفسِ نِمتُ أو قمتُ باقٍ
فاحتملْني في رحلتي يا رفيقي
يا ابنَ أمّي ويا وصيةَ غالٍ
غابَ عنّا ، وكم لَهُ من حقوقِ
قال لي يومَها وقد كُنتَ طفلا
كُن عطوفًا على أخيكَ الشقيقِ
كُن أباهُ ، وكُن أخاه ، فإني
راحِلٌ عنهُ يبتَسُ الموتُ ريقي
راحل عنه وهو ما زال غضًّا
يا لحزني على الصغيرِ الرقيقِ
يومَها ذُبتُ . من يردّ قضاءً
يومها زاد يا أبي تمزيقي
وتعهّدتُ نبذةً لكَ .. حاشا
رَدَّ دَيْنٍ قدَّمتَهُ بالعُقوقِ
كنتُ أعطيهِ بسمتي ، كنتُ أقسو
قسوةَ الوالِدِ الحريصِ الشفيقِ

ونما العودُ ، وامتطى السيفَ زَودًا
عن ثرانا المُستنصرِخ المسروقِ
وأعادَ اللواءَ ، ترنو إليهِ
عينُ "سينا" في عِزةٍ وسُموقِ
ثبّتتْهُ كفّاه فوق ثراها
ورُباها ورَملِها المحروقِ
قد أعادَ اللواءَ .. لكن فتاها
غاب ما عاد للفؤاد المشوقِ

●●●

كيف ألقى من بعد عامِ انتظارٍ
وجهَ أُمٍّ مذهولةِ التحديقِ
تُرهفُ السمعَ ليلَها وضُحاها
نحو بابٍ جم الأسى مَرتوقِ
ترهفُ القلبَ علّه بعدُ آتٍ
يتهادى بعُودهِ المشوقِ
يطرقُ البابَ مثلما كان يشدو
وينادِي : أمّي أتيتُ أفيقي

●●●

يا عزيزي لم يعرف النومُ عيني
يا لحُزني بعد الوداع وضيقي
كذبوا كلّهم ستأتي وضيئا
في دُجى الليلِ أو قبيلَ الشروقِ

لن ترى البابَ مغلقا، سوفَ أُصغي
لِصَدى خَطوِكَ القويِّ الطليقِ
عُد إلى بيتيَ الكئيبِ ، وبَدِّد
وَحشةَ الأمِّ ، يا أعزَّ رفيقِ..
ابتسِمْ لي ، عانِقْ كياني وامسَحْ
طَفحَ جُرحٍ دامٍ عليكَ عميقِ
غبتَ عامًا لكن ستأتي ، كذوبٌ
كلُّ صوتٍ نعاكَ، غيرُ صدوقِ

●●●

يا شقيقي هربتُ عامًا وعامًا
قلتُ بالصبرِ قد تجفُّ حروقي
غيرَ أني لن أُقنعَ الأمَّ يومًا
أنَّ عَوْدَ الشهيدِ غيرُ حقيقِ
كيفَ أمحو دموعَها وأُساها
كيفَ أرنو لوجهِها المَعْروقِ
غبتُ عنها خوفَ اللقاءِ، وليست
غيبتي تلكَ صورةً للعُقوقِ
لو يباعُ السلوانُ ، ما غبتُ عنها
يا لجرحي من دمعِها يا لضيقي
منذ عامٍ يا صبرُ لم ألقَ أرضا
لكَ فيها يا وَهمُنا بعضَ سوقِ
لو وجدناكَ لاشترينا ، ولكن
أنتَ ضربٌ من الخيالِ السحيقِ

يا شقيقي يا خير عودٍ غرسنا
فوق «سينا» ويا أعزّ العروقِ
كنتمُ الرّايةَ التي نسجتها
عين مصرٍ في أفقها للشروق
كنتم الفجرَ حين عادَ تشرينُ يروي
صفحاتٍ من سفرنا المرموق
وبعثتمْ «ذاتَ الصواريِ» وبدرا
والتقى النيلُ بالشآم العريق
وملأتمْ قلبَ الخليج إباءً
وذُرا الأطلسِ الجسورِ الشفيق
ومددتم من مصرَ جسرَ المجدِ
عزّ بالبذلِ والإخاءِ الوثيق
أنتمُ الوحدةُ التي صهرتنا
من قتالٍ صلبِ الخُطى لمضيقِ

●●●

يا شقيقي إن رُحتَ دون عروسٍ
دون حفلٍ يوم الزفافِ أنيقِ
عندكَ الحورُ والجنانُ فطوبى
لشهيدٍ باعَ الدُّنا، صِدّيقِ

١٩٧٤م